

معاني كلمات من سورة الكهف

دلالات لغوية وشرعية - منكرة تدبّر وتأمل

تمهيد

جاءت سورة الكهف بمنهج قرآني متكامل يعالج الفتن الكبرى التي تواجه الإنسان: فتنة الدين، وفتنة الدنيا، وفتنة العلم، وفتنة السلطة. ولأن القرآن يخاطب العقل والقلب معاً، جاءت ألفاظه محملة بدلالات لغوية دقيقة، ومعانٍ شرعية عميقة، لا يكتمل التدبّر إلا بفهمها في أصلها اللغوي، ثم في سياقها القرآني. وهذه وقفاتٌ مع جملةٍ من ألفاظ السورة، تجمع بين اللغة والمعنى، والدلالة والغاية.

1 - ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾

أصلها اللغوي: العوج هو الميل والانحراف عما ينبغي أن يكون عليه الشيء، ويُستعمل في المعاني كالأفكار والمقاصد، كما يُستعمل في الأعيان والأجسام. ويُفهم منه الخلل، والاضطراب، وعدم الاستقامة.

سياقها "المعنى" القرآني: نفت الآية عن القرآن كلَّ عوج؛ فلا تناقض في أخباره، ولا اضطراب في أحكامه، ولا ميل عن الحق في مقاصده. فهو هدى صافٍ مستقيم، يُطمئن العقل والقلب إلى أن هذا الكلام ليس بشراً يعتريه النقص، بل وحيٌّ محكمٌ متكامل، لا خلل فيه ولا انحراف.

2 - ﴿قِيَمًا﴾

أصلها اللغوي: قِيَمًا (بفتح القاف وتشديد الباء) من قام يقوم، وتدل في اللغة على الاستقامة والثبات، مع معنى القيام على الشيء رعايةً وحفظاً وإصلاحاً.

المعنى القرآني: القرآن ليس مستقيماً في ذاته فحسب، بل هو مُقَوِّمٌ لغيره؛ يُصلح ما اعوج في العقائد، ويصحح الانحراف في الأفكار، ويضبط السلوك. فهو مرجعيةٌ حاكمة تُفاس بها الاتجاهات، وتوزن بها القيم، وتُحاكم إليها الأهواء. ولذلك جاء وصفه بـ ﴿قِيَمًا﴾ مباشرةً بعد نفي العوج، ليجمع بين سلامة المنهج في ذاته وقوة أثره في إصلاح الناس. ومع هذا التقويم القرآني يجتمع منهج التربية بين الإنذار والبشارة، لتستقيم النفوس بين الخوف والرجاء.

قِيَمٍ / قِيَمًا / دِينًا قِيَمًا / دِينًا قِيَمًا

أصلها اللغوي: جميع هذه الألفاظ ترجع إلى أصلٍ واحد هو (ق و م)، الدالّ على الاستقامة والقيام والثبات، ومنه القيام على الشيء حفظاً ورعايةً، وجعله مستقيماً غير مائل، ثابتاً غير مضطرب.

المعنى القرآني: الدين قِيَمٍ (بكسر القاف)، أي طريقٌ مستقيمٌ سويٌّ، قائم على الحق، وعلى القيم الصحيحة التي تُقيم حياة الإنسان وتضبط تصورات وسلوكه. وأما القرآن فوصف بأنه قِيَمٍ (بفتح القاف وتشديد الباء)، أي المرجع الحاكم الذي يُقيم هذا الطريق، ويُصحح الانحراف، ويُقوّم الاعوجاج، ويضبط ميزان القيم والمعايير، فتوزن به الاتجاهات وتُحاكم إليه الأهواء.

ولذلك جاء التعبير بـ ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ للدلالة على استقامة المنهج وقيامه على القيم، وجاء وصف القرآن بـ ﴿قِيَمًا﴾ للدلالة على كونه المُقِيمِ والمُقَوِّمِ لهذه الاستقامة. ومن هذا الأصل نفسه جاء الأمر بإقامة الصلاة وإقامة العدل؛ فليس المطلوب مجرد الفعل أو الأداء، بل جعلهما قائمين ثابتين على شروطهما وحقوقهما، يظهر أثرهما في القلب والسلوك والحياة، لا أداءً شكلياً عابراً بلا ثمرة.

3- (لَذَن) و﴿مِن لَّدُنْهُ / مِّن لَّدُنْكَ / مِّن لَّدُنَّا﴾

أصلها اللغوي: لَذَن تفيد القرب الشديد والاختصاص، وتدل على صدور الأمر من جهةٍ قريبةٍ مخصوصة، لا من عموم الجهات.

المعنى القرآني: إذا أُضيفت إلى الله تعالى أفادت معنى العطاء أو الأمر الخاص المباشر، الصادر عن علمٍ محيط، وحكمةٍ بالغة، وتدبيرٍ ربانيٍّ دقيق، لا يشاركه فيه بشر ولا وسائط.

ف﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ في مطلع السورة تؤكد أن البأس الشديد إنذارٌ صادر مباشرةً من الله على وجه الخصوص، و﴿مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً﴾ دعاء لرحمةٍ خاصة تُنقذ وتُنقذ وتثبت وتفتح أبواب النجاة، و﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ تقرير لنوع من العلم الموهوب، ليس مجرد تحصيلٍ بشري، بل فتحٌ ربانيٍّ يضع الحقيقة في موضعها بميزان الحكمة.

4- ﴿بَاخِعٌ نَفْسَكَ... أَسْفًا﴾

أصلها اللغوي: **البَخَعُ** هو بلوغ الشيء غايته حتى يفسده أو يهلكه، ويُقال: بَخَع نفسه، أي قتلها همًا. **والأسف** هو الحزن الشديد المصحوب بحرقَةٍ وألم.

المعنى القرآني: تصويرٌ بليغ لشدة رحمة النبي ﷺ، وعظيم حرصه على هداية قومه، حتى يكاد يُهلك نفسه حزنًا وأسفًا على إعراضهم. وفي الآية توجيهٌ تربويٌّ للداعية: أن البلاغ واجب، وأن الهداية بيد الله، وأن الرحمة الصادقة لا ينبغي أن تتحول إلى استنزافٍ للنفس يقطع صاحبها عن مواصلة الرسالة وأداء الأمانة.

5- عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا

أصلها اللغوي: **الصعيد** هو وجه الأرض وما علاها من ترابها. **وَجُرُزًا مِنَ الْجُرُزِ**، وهو القطع والاستئصال، وتُوصف الأرض بالجرُز إذا انقطع نباتها وبببس ماؤها.

المعنى القرآني:

تقرير سنةٍ كونيةٍ ثابتة، وهي سنة الزوال: أن زينة الدنيا مهما اخضرت وازدهرت وبهرت الأبصار، فإن مآلها إلى ببس وانكشاف، ليصحو القلب من سُكر البهجة المؤقتة، ويتعلّم وزن الأشياء بميزان الآخرة لا بلمعان اللحظة.

6- الرَّقِيمِ

أصلها اللغوي: **الرَّقِيم** من الرِّقْم، وهو الكتابة والنقش والتثبيت بعلامةٍ لا تُمحي بسهولة، ويُطلق على اللوح المكتوب، أو الوثيقة، أو كل ما رُقِم فيه خبزٌ أو أسماء لإبقائه محفوظًا معروفًا.

المعنى القرآني: في سياق أصحاب الكهف، يشير الرقيم إلى أن قصتهم محفوظةٌ معلومة، قد دَوّنت أو عُرفت معالمها بين الناس، وأن المقصود ليس الانشغال بتعيين كل تفصيل تاريخي، بل اتخاذ القصة شاهدًا على سنن الثبات والهداية، وأن حفظ الله لأثار الحق قد يكون بالكتابة، أو بالشهرة، أو ببقاء العبرة.

7- الشُّطْطُ وعلاقته بالرُّشد

أصلها اللغوي: **الشُّطْطُ** هو مجاوزة الحدّ، والميل الفاحش عن الجادة، ويُستعمل في القول، والحكم، والاعتقاد، وكل خروج عن الاعتدال والاستقامة.

المعنى القرآني: في السورة، يدل الشطط على أن الشرك ليس مجرد "هفوة" معرفية، بل انحرافٌ جسيم عن الفطرة، والتوحيد، والعقل السليم. وفي مقابلة يأتي الرشد بوصفه الاستقامة المعرفية والعملية التي تجعل الإنسان قائمًا على الحق في تصوره وسلوكه؛ فالتوحيد رُشدٌ لأنه يضع الوجود في موضعه الصحيح، وكل خروج عنه شطط لأنه يقلب الموازين ويفسد تصور الإنسان لربه ونفسه ومصيره.

8- ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾

أصلها اللغوي: **مِرْفَقًا** من مادة (ر ف ق)، وأصلها اللين، واللفف، والتيسير، وحسن المصاحبة. ويُقال: رَفَقَ به إذا أحسن إليه وسهّل عليه وأعانه.

المعنى القرآني: يدل اللفظ على أن الله يهيئ لأولياته من الأسباب، والظروف، والنتائج ما يكون عونًا ولطفًا ومخرجًا ونفعًا، ولو بدا ظاهر الحال ضيقًا أو شاقًا، فهو تيسيرٌ ممتدٌ في الطريق، وعاقبةٌ حسنة تظهر آثارها مع الزمن، لا مجرد راحةٍ آنية تنقضي سريعًا.

9- ﴿تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾

أصلها اللغوي: **تزاور** من مادة (ز و ر)، وأصلها الميل والانحراف. ومنها الرُّور بمعنى العدول عن الحق، وقول الزور لأنه كلامٌ مائل عن الصدق، ومنها الزيارة لأنها ميلٌ إلى شخصٍ وقصده مدةٌ ثم الانصراف عنه. فالأصل الجامع هو الميل والقصد.

المعنى القرآني: المعنى أن الشمس تميل عن كهفهم وتتحرف عنه فلا تصيبهم مباشرة، وفي هذا تصويرٌ دقيق لحفظ الله لهم؛ إذ سخر السنن الكونية نفسها لتكون أداة رعاية، لا أذى، في تدبيرٍ ربانيٍّ بالغ الدقة.

10- ﴿تَقْرَضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾

أصلها اللغوي: **القرض** في اللغة **القطع مع المجاوزة**، ومنه **قرض الشيء إذا قطعه**، أو مرّ عليه مرورًا يذهب ببعضه دون استئصال.

المعنى القرآني: المقصود أن الشمس تمسّ موضعهم مسًّا خفيفًا ثم تتجاوزه من جهة الشمال، دون أن تستقر عليهم. فالكلمة تجمع بين معنى **المماسّة العابرة والمجاوزة**، وفيها إشارة بلاغية إلى حفظٍ متوازن: لا حرٌّ يحرقهم، ولا بردٌ يفسدهم، ولا رطوبةٌ تُعفنهم.

11- ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾

أصلها اللغوي: **الملتحد** هو الملجأ الذي يُمال إليه ويُعتصم به، من لحد إذا مال، ويُستعمل لكل مأوى يُظنُّ أنه يحمي ويقي.

المعنى القرآني: تقرير قاعدة منهجية بعد عرض القصص: أن الوحي هو موضع الاعتصام الحقيقي، وأنه لا ملجأ من الفتن، والشبهات، والشهوات إلا بالله وكلماته. وكل ملجأٍ دونه وهمٌ لا يثبت ولا يؤمن النجاة.

12- ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

أصلها اللغوي: الفُرُط هو التقدم بلا ضبط، والانفلات، وتجاوز الحد. ويقال: فرط في أمره إذا أضاعه وترك زمامه حتى خرج عن الاتزان. المعنى القرآني: وصفٌ لحال من اتبع هواه وأعرض عن الذكر، فصار شأنه انفلاتاً في الإرادة والقرار؛ لا ميزان يحكمه، ولا رشاد يرده، فتفسد التدابير، وتضيع الأولويات، وتخسر النفس نفسها قبل أن تخسر الدنيا.

13- ﴿أَخَاطَبُ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾

أصلها اللغوي: السُرَادِق هو ما يُضرب حول الخيمة أو البناء من سترٍ أو سياج، يحيط به إحاطةً تامة، وأصله يدل على الإحاطة والامتداد. المعنى القرآني: تصويرٌ لإحاطة العذاب بهم من كل جانب؛ فلا منفذ للفرار، ولا فسحة للنجاة. وفيه تقوية لمعنى الوعيد، بأن النار ليست مجرد "مكان"، بل نظام عذابٍ محيط يقطع الرجاء عمّن أصرَّ على الظلم والكفر.

14- ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾

أصلها اللغوي: المُرْتَفَق هو موضع الارتفاق، أي مكان الانتفاع، والراحة، والانتكاء، وما يُتخذ مُعِينًا، من مادة (ر ف ق) الدالة على اللين والنعيم. المعنى القرآني: بيان أن مرجع أهل الظلم بنس المرجع؛ فلا فيه راحة ولا نفع، بل عذابٌ محض. وجاء اللفظ الذي أصله يدل على الراحة على سبيل التقرير والتهمك البلاغي؛ كأن يقال: ما أبأس هذا المكان الذي يُفترض أن يكون موضع ارتفاق فإذا هو موضع هلاك.

15- الفرق بين (مُرْفَقًا) و(مُرْتَفَقًا) في السورة

أصلها اللغوي: مِرْفَقًا يدل على ما يُهيأ للإنسان من أسباب التيسير والنعيم في الطريق، فهو عونٌ وتدبير . أما مِرْتَفَقًا فهو اسم مكان لموضع الارتفاق والانتكاء والانتفاع.

المعنى القرآني: استعمل مِرْفَقًا في سياق الرحمة والتيسير لأولياء الله: ﴿وَيُهِئُ لَكُمْ... مِرْفَقًا﴾، واستعمل مِرْتَفَقًا في سياق الوعيد تقريرا للظالمين؛ ليُقرَّر أن هذا "الموضع" الذي يُتوهم فيه نفع هو في الحقيقة موضع سوءٍ وعذابٍ لا ارتفاق فيه: ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.